محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوق الإنسان

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

يستحق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول أن يعتبر يوم حقوق الإنسان، وكل من يلقى نظرة على الأوضاع السائدة في ذلك العصر الذي بعث فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤيد هذه الفكرة؛ فقد كان الإنسان في ذلك العصر أحط من الحيوانات، وقد أثخنت الحروب والصراعات الدامية الإنسانية كلها حتى يئس الإنسان من الحياة، وقد وصف مؤرخ إنجليزي الإنسانية في ذلك العصر بثورين جريحين، وكل من يدرس التاريخ يصدق الوضع السائد في ذلك العصر.

وقد كانت الميزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم صيانة حياة الإنسان وكرامته، وقد كان دوره في رفع النزاع الذي كان ينذر بسفك الدماء عند الصراع الذي حدث في إعادة الحجر الأسود إلى مكانه دورا تاريخيا. كانت الكعبة غير مسقفة، وكانت رضما مفرق القامة، فكانت في حاجة إلى تجديد بنائها لِمَا أصابها من حريق وسيل جارف، صدع جدرانها لوقوعها في سهل الأرض، فهمّهم أمرها، فأرادوا هدمها ليرمموها ويسقفوها، وعلمت قريش أن البحر قد رمى بسفينة إلى جدّه لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها، فأعدوه لتسقيفها، وشاركت سائر القبائل من قريش في نقل الحجارة، ورفعها؛ لكون الكعبة مركزاً مقدساً للعبادة، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس في بناء الكعبة، وكانا ينقلان الحجارة، وكان صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة والثلاثين من عمره، كان يحمل الحجارة على كاهله إلى البنيان، فكدحت كاهله، فلما بلغ البنيان موضع الركن اختصموا في الحجر الأسود؛ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم؛ لنيل هذا الشرف، مكثوا على ذلك أياماً، ثم اتفقوا على أن أول من يدخل من باب المسجد، يقضي بينهم، فحصل للرسول هذا الشرف؛ شرف فصل الخصومة، ووقف القتال المندلع بين قبائل قريش، فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال: "هلموا ثوبا"، فأتوه به، فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده، ثم قال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً" ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بني عليه. (سيرة ابن هشام).

فدرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب من قريش بحكمة ليست فوقها حكمة، وطمأنهم ومنعهم من أن تختلف بينهم الرماح والسيوف من أجل نيل شرف وضع الحجر موضعه، كما كانت تنشب الحرب في أهون من هذا بكثير في الجاهلية

وكذلك مشاركته في حلف الفضول يمثل هذا الجانب، وهو رفع النزاعات، ومنع أسباب الصراعات، كان سببُه أن رجلاً غريباً من "زبيد" قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص ابن وائل السهمي أحد أشراف قريش، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيديُّ أشرافَ قريش، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل لمكانته، وانتهروه، واستغاث الزبيديُّ أهل مكة، واستعان بكل ذي مروءة. فكان غريب أجنبي يسلبه حقه ذو مكانة وقوة، ويظلمه، فهاجت الغيرة في رجال من ذوي المروءة والفتوة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم؛ حتى يؤدي إليه حقه، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه (الكامل في التاريخ: ٤١/٢، وسيرة ابن كثير: ٢٥٧/١).

ومن هذا القبيل إبرام معاهدة لدى وصوله إلى المدينة المنورة التي كانت مشهد القتال بين الأوس والخزرج واليهود، فأقام في المدينة المنورة مجتمعا متآلفاً متعاوناً، فكان وصوله إليها سبب قيام الأمن والسلام. وأما نص المعاهدة فهي كما تلي:

١. هذا كتاب من محمد النبي "رسول الله" بين المؤمنين، والمسلمين من قريش، "وأهل

يثرب"، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.

٢. إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣. المهاجرون من قريش على ربعتهم، يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤. وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٥. وبنو الحارث "بنو الخزرج" على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٦. وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٧. وبنو جشم على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨. وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩. وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠. وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١. وبنو الأوس على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف؛ من فداء، أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

١٣. وإن المؤمنين المتقين "أيديهم" على "كل" من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

١٤. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

١٥. وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦. وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر، والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

١٧. وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء، وعدل بينهم.

١٨. وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

١٩. وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢٠. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي، وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

٢١. وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة؛ فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول بـ(العقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

٢٢. وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً، أو يؤويه، وإن من نصره، أو آواه، فإن عليه لعنة الله، وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف، ولا عدل.

٢٣. وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

٢٤. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٢٥. وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه، وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.

٢٦. وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٢٧. وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٢٨. وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩. وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٣٠. وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

٣١. وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم، وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.

٣٢. وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

٣٣. وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم.

٣٤. وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٥. وإن بطانة يهود كأنفسهم. (بطانة الرجل: أي: خاصته، وأهل بيته).

٣٦. وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم.

٣٧. وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح، والنصيحة، والبر دون الإثم.

٣٨. وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.
٣٩. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
٤٠. وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
٤١. وإن الجار كالنفس غير مضار، ولا آثم.
٤٢. وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.
٤٣. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله – عز وجل – وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره (أي: إن الله، وحزبه المؤمنين على الرضا به).
٤٤. وإنه لا تجار قريش، ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.
٤٥. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه، ويلبسونه؛ فإنهم يصالحونه، ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك؛ فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين. وعلى كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
٤٦. وإن يهود الأوس – مواليهم، وأنفسهم – على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.
٤٧. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم، أو آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم، وأثم، وإن الله جار لمن بر، واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن هذه المعاهدة التي أبرمت في المدينة المنورة نموذج لنظام إسلامي فيه احترام سائر الأديان، واحترام كرامة الإنسان.

كذلك كان سلوكه صلى الله عليه وسلم مع أعدائه سلوك العفو والصفح، وتجنب الصراع، وسفك الدم، كما يدل عليه موقفه في صلح الحديبية، ثم عند فتح مكة، فقد أعلن لدى الفتح بالعفو العام حتى عن ألد أعدائه الذين حاربوه ووضعوا الأشواك في سبيل دعوته في مكة المكرمة، ثم شنوا عليه الحروب بعد هجرته إلى المدينة المنورة فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: "لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء".

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم رسول التوحيد ليس في العقيدة فحسب، بل في سائر جوانب الحياة، وفي السلوك، والتعامل مع الناس، وقد ظهر هذا الجانب في خطبته الأخيرة التي ألقاها في عرفة، فقال:

"إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث؛ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب؛ فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات". (رواه مسلم في صحيحه)

إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تتجلى في القرآن الكريم، وفي أقواله وتعاليمه، وقد كثرت الآيات في القرآن الكريم التي تدعو إلى كرامة الإنسان، وتدعو الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رعاية كرامة الإنسان واحترامه، فتقول آية في سورة الإسراء: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" [الآية:٧٠] وجاء في موضع آخر: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات:١٣]، وفي موضع آخر جاء: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى" [عبس:١- ٢]، وفي موضع آخر: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" [آل عمران:١٥٩].

وتدل الأحاديث النبوية على الرحمة والرأفة حتى الرفق مع الحيوانات، وهي كثيرة، منها.

رحمته بالأسرى:

كانت معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للأسرى تحفها الرحمة والعدل والحزم، والمصالح والأهداف الدعوية، ولذلك تعددت أساليبه، وتنوعت طرق تعامله؛ هناك من قبل فيهم الفداء، والبعض الآخر منّ عليهم فأطلقهم، وآخرون اشترط عليهم تعليم عشرة من أبناء المسلمين مقابل المنّ عليهم، وأطلق البعض عوضاً عن الأسير المسلم.

ولما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر إلى المدينة فرّق الأسرى بين أصحابه، وقال لهم: "استوصوا بهم خيراً". يقول أبو عزير بن عمير أخو مصعب بن عمير: "كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استوصوا بالأسرى خيراً" وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم، أكلوا التمر وأطعموني البر، لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم"(الطبراني في الصغير: ٤٠١، وفي الكبير: ٣٩٣/٣).

ويقول أبو العاص بن أبي الربيع: كنت في رهط من الأنصار، جزاهم الله خيراً، كنا إذا تعشينا أو تغدينا، آثروني بالخبز، وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل تقع في يده كسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: "كانوا يحملوننا ويمشون"(المغازي للواقدي: ١١٩/١).

رحمته بكبار السن:

جاء شيخ ذات يوم يريد النبي صلى الله عليه وسلم، فأبطأ القوم أن يوسعوا له، فرق له رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمه، وقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا".(رواه الترمذي)

رحمته بالأطفال:

يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي؛ فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه".(رواه البخاري)

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل على أم سُلَيْم، ولها ابن من أبي طلحة يُكنَّى أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه فرآه حزيناً، فقال: "ما لي أرى أبا عمير حزيناً؟!" فقالوا: مات نُغَرُه الذي كان يلعب به. قال: فجعل يقول: "أبا عُمير، ما فَعَلَ النُّغَير؟".

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعِمْه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك. (رواه الطبراني)

رحمته بالنساء:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه: "استوصوا بالنساء خيراً". (رواه البخاري)

رحمته بالخدم والعبيد:

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة تفسر نظرته الرحيمة إلى الخدم والعبيد، و والله إنها لكلمة عجيبة!

قال صلى الله عليه وسلم: "إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" (رواه البخاري).

و تقول عائشة رضي الله تعالى عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله" (رواه مسلم).

ويشهد أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه شهادة حق وصدق فيقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. و في نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم. قال: فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: "يا أنيس، اذهب حيث أمرتك". قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين، أو تسع سنين، ما علمت قال لشيء صنعت: لم فعلت كذا وكذا، ولا لشيء تركت: هلاّ فعلت كذا وكذا" (رواه مسلم).

رحمته بالفقراء:

شملت رحمته صلى الله عليه وسلم كل الفقراء، حتى كان يعطيهم – على فقره – كل ما يستطيع أن يعطيهم، ويأمر أصحابه وأمته برحمة الفقراء.. وانظر إلى كلماته التي تفيض عذوبة ورقة ورحمة:

"يا ابن آدم، إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى" (رواه مسلم).

"ما أحب أن أُحُداً لي ذهباً، يأتي عليَّ ليلة أو ثلاث عندي منه

دينار إلا أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا و هكذا" (رواه البخاري).

رحمته بأصحاب الأزمات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" (رواه البخاري).

روى عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه فقال: لما جاء نعي جعفر؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم" (رواه أبو داود).

وتروي أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها" (رواه مسلم).

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تصدقوا عليه". فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه: "خذوا ما وجدتم، وليس لكم إلا ذلك" (رواه مسلم).

رحمته بالجاهلين:

عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُزْرِموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه (رواه البخاري).

و عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدة قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبْذَتِه ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء (رواه البخاري).

عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً ثم قال أعطوه سناً مثل سنه قالوا يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه قال أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً (رواه البخاري).

رحمته بالأمة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الدين يسر ولا يشادُّ الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" (رواه البخاري).

وقال أيضا: " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" (رواه البخاري).

عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة (رواه الترمذي).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقةٌ وما سرق منه له صدقةٌ وما أكل السبع له صدقةٌ وما أكلت الطير فهو له صدقةٌ ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة (رواه البخاري).

نظرته إلى النفس الإنسانية:

وعن قيس بن سعد من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنهما قال كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهم بجنازة فقاما فقيل لهما إنها من أهل الأرض من أهل الذمة فقالا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنازةٌ فقام فقيل له إنها جنازة يهودي فقال أليست نفسا (رواه مسلم).

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ انْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِى سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ. فَسَكَتَ عَنْهُمَا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ شَائِلٍ بِرِجْلِهِ فَقَالَ « أَيْنَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ». فَقَالاَ نَحْنُ ذَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « انْزِلاَ فَكُلاَ مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ ». فَقَالاَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا قَالَ « فَمَا نِلْتُمَا مِنْ عِرْضِ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشَدُّ مِنْ أَكْلٍ مِنْهُ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ لَفِى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْقَمِسُ فِيهَا ». (رواه أبو داؤد).

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله يقول إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش

وهذي الدواب التي تقع في النار تقع فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها (رواه البخاري).

رحمته بغير المسلمين:

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من مشى من قوم يرى منهم أنه شاهد و ليس بشاهد فهو شاهد زور و من أعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع و قتال المؤمن كفر و سبابه فسوق (رواه أبو داود).

قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». (رواه أبو داود).

وعن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ (رواه أحمد بن حنبل).

رحمته بمن آذاه من غير المسلمين

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ (رواه أحمد بن حنبل).

عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا السام عليكم قالت عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله) . فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (قد قلت وعليكم) (رواه البخاري).

وعندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى خيبر أوصاه قائلا: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ". (رواه البخاري).

و بعث سرية فيها المقداد ، فتفرق القوم وبقي رجل له مال كثير لم يبرح ، فتشهد ، فقتله المقداد ، فأخبر الرسول عليه السلام بذلك فقال : "أقتلت رجلا قال لا إله إلا الله ، فكيف لك بلا إله إلا الله غداً ؟" .

وقيل : لقي الصحابة المشركين فهزموهم ، فشد رجل منهم على رجل ، فلما غشيه السنان قال : إني مسلم ، فقتله وأخذ متاعه ، فرفع ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : "قتلته وقد زعم أنه مسلم ؟" فقال : قالها متعوذاً قال : "هلا شققت عن قلبه ؟" (رواه الشيخان).

وقد صنف المصنفون في السيرة النبوية، وألقوا الضوء على سيرته، فركز بعض المصنفين على جانب من جوانب حياته ككتاب " النبي المعلم" أبرز المؤلف فيه منهج تعليمه، و" النبي المربي" الذي أبرز فيه المؤلف جانب رعاية نفسية الإنسان في ضوء علم النفس المعاصر، و"النبي القائد" الذي درس فيه المؤلف خصائص قيادته، و"عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم" الذي درس فيه المؤلف عبقريته، ومصدر هذه العبقرية، و"النبي الخاتم" الذي درس فيه المصنف كمال دعوته، وختم النبوة، وكذلك ألف مؤلف كتابا بعنوان "النبي الإنسان، درس فيه المؤلف إنسانية رسالته.

فقد كان الرسول صلى الله عيه وسلم بشيرا ونذيرا وداعيا وإنسانا، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مختلف جوانب السيرة الإنسانية ومقتضيات الداعي والرسول، فإن الحاجة ماسة إلى عرض جوانب الرحمة والعضو والصفح ورعاية كرامة الإنسان حتى في الحرب، والقدرة والغلبة، وهي كثيرة منتشرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولذلك وصفه القرآن الكريم بأسوة حسنة، والأسوة هو الذي يصلح للاقتداء. " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "(الأحزاب:٢١) فالرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في سائر جوانب الحياة؛ من الدعوة، والتعليم، والتربية، والخلق، وهو أسوة لكل إنسان، ويجد الدارس لحياته أن الرحمة والعطف غالب على سائر جوانب حياته، صلى الله عليه وسلم.

إن التوافق بين ربيع الأول شهر مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وشهر ديسمبر الذي أبرمت فيه معاهدة حقوق الإنسان، يقتضي دراسة التاريخ والبحث عن مصدر تصور حقوق الإنسان وكرامة الإنسان، ويقتضي ذلك أن تبرز جوانب رعاية كرامة الإنسان في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

●●●